نحو هوية إسلامية واضحة المعالم

د. محمود أبو الهدى الحسيني

2008/5/24

ها نحنُ جزء ممن يستمعُ إليكَ يا أستاذنا النورسي وأنت تخاطبنا من ماضينا الذي كان حاضِرَك، وتخاطب منه مستقبلا قد نكون بعضَ مفرداته، وها نحن نستمعُ إليك وأنت تقول:

"أيا من اختفى خلف عصر شاهق ... يستمع إلى كلمات النـــور بصمت وسكون ....أيا من تتسمّون بـــسعيد وحمزة، وعمر وعثمان وطاهر ويوسف وأحمد وأمثالهم إنني أتوجه بالخطاب إليكم:

ارفعوا هاماتكم وقولوا: لقد صدقت وليكن هذا التصديق دَيْناً في أعناقكم، إن معاصريَّ هؤلاء وان كانوا لا يعيرون سمعاً لأقوالي، فلندعهم وشأنهم، إنني أتكلم معكم عبـــر أمواج الأثير الممتدة من الوديان السحيقة للماضي - المسمّى بالتاريخ - إلى ذرى مستقبلكم الرفيع، ما حيلتي لقد استعجلت وشاءت الأقدار أن آتي إلى خضم الحياة في شتائها.. أما انتم فطوبى لكم ستأتون إليها في ربيع زاهر كالجنة، إنَّ ما يُزرع الآن ويستنبت من بذور النور ستتفتح أزاهيرَ يانعة في أرضكم.. نحن ننتظر منكم لقاء خدماتنا.. أنكم إذا جئتم لتعبروا إلى سفوح الماضي، عوجوا إلى قبورنا، واغرسوا بعض هدايا ذلك الربيع على قمة القلعة.[1]

لك كل التقدير والاحترام يا أستاذنا، ولو قدمنا قلوبنا كلها هدايا لك فلن نفيك حقك.

وبعد إصغائي لكلماتِ الأستاذ أقول:

لا نشك أنَّ "رسائل النور" التي تجاوزت المائة والثلاثين رسالة كانت وما تزال تؤدي للمسلمين خدماتٍ إيمانيةً نفيسةً بأسلوب يفهمه المصدق والمنكر، وتنشر حقائق القرآن بالبراهين القوية، والحجج الفذة، وتتألق في أيامٍ تزعزع فيها إيمانُ المقلِّدين الذين اعتادوا الدينَ عبادةً وأهملوه معاملة ومنهاجا للحياة، وكثرَ فيها الهدم في الشريعة المحمدية والشعائر الأحمدية ..

ولا نشكُّ أن كل طالب نور أصبح – كما يقول الأستاذ النورسي رحمه الله -بسبب هذه الرسائل كأنه قطبٌ مخفيٌّ من أقطاب الأولياء.. أو ضابطٌ شجاعٌ في جيش يبعث المدد المعنويَّ إلى القلوب.[2]

ولا نشكُّ أنَّ هذه الرسائلَ وثيقةُ الصلة بالقرآن الكريم، وأنها كالتفسير له.

وقد أمضينا وقتا طويلا في تأملها ودراستها وأحببنا البحث والتمحيص في معانيها العميقة الجليلة، وكتبنا بعض الموضوعات المستمدة من روحها وإرشادها العظيم.

لكنني وقد طُلب مني المشاركة في هذا المؤتمر العلمي، وإبداءُ المقترحاتِ العلمية والعملية التي أظنُّ نفعَها، وأرى جدواها، فإنني أضعُ من تلك المقترحات ثلاثةً من الخطوط العريضة أمام الإخوة الباحثين، والسادة الإداريين راجيا من الله تعالى أن تكون سببَ خيرٍ ومقدمةَ توفيق.

أولا- علينا ونحن نعاني في أمتنا الإسلامية أصعب الظروف، وأقسى المحن، أن نؤكد **توجه الأستاذ النورسي إلى وحدة الأمة واتحادها المحمدي المعنوي**، الذي هو اتحاد الإسلام، الثابت بين جميع المؤمنين بالقوة أو بالفعل، والذي لم يُرد منه الأستاذ النورسي إيجاد جماعةٍ في استانبول أو في الأناضول[3]، لأنه كان يؤكد أن مشربه هو محبةُ المحبة، ومخاصمة الخصومة، وإمدادُ جنود المحبة بين المسلمين، وكان يلحُّ على أنَّ **كل مؤمن هو - بنظره - منتسب - معنىً – لجماعته**، ومن هذا المنطلق **كان يدعو باسم الشريعة العلماءَ والمشايخ من طلاب العلوم إلى الإتحاد قبل أي أحد سواهم**، وكان يرى أنَّ **ناشر أفكارِ هذا الاتحاد المحمدي هو جميعُ الكتب الإسلامية** والصحف اليومية التي تستهدف إعلاء كلمة الله، وأنَّ رئيس هذا الاتحاد هو فخر العالمين سيدنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، أما مسلكه فهو التخلقُ بأخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وإحياءُ السنة النبوية[4]، وبترسيخ هذا الاتحاد نوجِدُ سدًّا أمام افتراق الفِرَقِ والأحزاب، ونبذل محاولة للتوحيد بينها[5]"

وقد كان الأستاذ يرى أن المقصودَ في هذا الاتحاد وحدةُ الهدفِ، لا وحدة الأساليب .[6]

والتطبيق العمليَّ لتوجه الأستاذ نحو هذا الاتحاد العملي – بنظري - يكونُ بالتواصل مع الدعاةِ في العالم الإسلامي، والتشاور مع الجماعات الإسلامية التي تتوافقُ في مضمونات دعوتها مع مضموناتِ رسائل النور التي ما هي إلا فهمٌ واقعيٌّ لحقائق القرآن الكريم، وأينما وجدت هذه الجماعات في عالمنا الإسلامي فهي تتكامل مع حركة طلاب النور.

قال الأستاذ: "إن مفتاح سعادة المسلمين في حياتهم الاجتماعية إنما هو) الشورى) إن الشورى الحق تولد الإخلاص والتساند إذ إن ثلاث ألفات هكذا: (ااا (تصبح مائة وإحدى عشرة فإنه بالإخلاص والتساند الحقيقي يستطيع ثلاثة أشخاص أن يفيدوا أمتهم فائدةَ مائةِ شخص.[7]"

وإنَّ تَبَوُّأَ تركيا منـــزل الصدارة في العالم الإسلامي في هذه الأيام، وتمتُّعَها بالحريات الإنسانية، يساعدُ تحقيق هذا التوجه لدى الأستاذ النورسي، لا سيما بعدما أصبحتْ أكثرُ البلاد الإسلامية محرومةً من مثل هذا الظرفِ المريح.

وطالما أنَّ الأستاذ كان يرى أنَّ **ناشر أفكارِ هذا الاتحاد المحمدي هو جميعُ الكتب الإسلامية** فلماذا لا نضيفُ – على سبيل المثال- إلى خدمة رسائل النور، خدمةَ الكتبِ التي تؤدي إلى دعمِ الأفكارِ الإسلامية والإيمانية في رسائل النور وتتكامل معها؟

ولماذا ونحنُ نخدمُ رسائل النور (التي تنطلق من القرآن) لا نخدمُ - على سبيل المثال أيضا- الدراسات النـــزيهة التي تقتربُ في مضمونها من مضمون رسائل النور والتي يقومُ بإخراجها عمالقة العلم والثقافة المعاصرون، طالما أنها لا تتناقضُ في أفكارها مع رسائل النور، بل تلتحمُ معها في ترسيخ الإيمانِ بإعجاز القرآن، وحقائق الإيمان؟

إنني أقترح على طلاب النور مع تأكيدي لأهمية دراسة رسائل النور أن يقوموا بالدعوة إلى مؤتمراتٍ عديدة تدور في الدراسات القرآنية، طالما أن رسائل النور كلها تؤكد على دوام الاستمداد من القرآن والتلمذة عليه.

ثانيا - علينا ونحنُ نرى استبداد العلمانية في عالمنا الإسلامي، وتبعيَّتَها في الغالب للمصالح الغربية، أنْ نرسخ **توجُّه الأستاذ النورسي إلى تدريس العلوم الدينية في المدارس الحديثة المتطورة في العلوم الكونية والتجريبية، وتوجُّهَهُ أيضا إلى تحصيل بعض العلوم الحديثة في المدارس الدينية** [8]فالمخطط التخريبي لعالمنا الإسلامي يهدفُ إلى إيجادِ صدامٍ ما بينَ دارسي الدين الإسلامي، ودارسي العلوم التجريبية، لصناعةِ واقعٍ في العالم الإسلامي يشبهُ واقع الصدامِ الأوربي بين الكنيسة والعلم، فقد أدركَ أعداء الإسلامِ أنَّ الإسلام يحتضنُ العلوم التجريبية ويدعو إليها ويشجعُ دارسيها، فأرادوا صناعة واقعٍ يُظهرُ انقلاب الحقيقة، ويوهم خلافَ الحق.

وقد قال الأستاذ يوماً: عندما كنت في ''وان'' خصص الوالي طاهر باشا غرفة لي **...** فكنت أبيت هناك وقد **حفظت آنذاك ما يقرب من تسعين كتاباً في الحقائق،** وكنت أعيد ما حفظته في ذاكرتي ثلاث ساعات يومياً فأكمله كل ثلاثة أشهر **...وأشكر الله كثيراً على تكراري لتلك المحفوظات حيث أصبحت وسيلة للعروج إلى حقائق القرآن الكريم**[9].

هكذا عرَجَ الأستاذُ من العلوم إلى حقائق القرآن الكريم، وهكذا علينا أن نربي ناشئتنا على منهج الأستاذ، لنؤكد التوافق بين الدين والعلم.

وقد كان الأستاذ بيـــّنَ" **أن حقائق الإسلام تمتاز باستعدادها استعداداً كاملاً لدفع أهلها إلى مراقي التقدم المادي والمعنوي معاً**[10]" ولا يمكن الارتقاء المادي والمعنوي لأمتنا إلا بما تقدم من الجمع بين التحصيلين الديني والعلمي.

ثالثا - إن واجب دعوتنا إلى الإسلام، وضرورة تواصلنا مع كل الناس في العالم، لشرح حقائق الإسلام، **لا ينبغي أن يسوقنا من حيث لا نشعر إلى الإفراط في المجاملة أو المداهنة مع غير المسلمين**، لاسيما مع ظهور دعوات شاذة هنا وهناك تدعو إلى وحدة الأديان، وأخوَفُ ما نخاف منه أن نصل إلى درجة ننسى فيها ذلك التعزز الذي كان يعيشه أستاذنا النورسي بالإسلام، في مواقف كثيرة معروفة في روسيا وغيرها. فالله تعالى لا يقبل سوى دين الإسلام، بل إنَّ بعضِ المتنورين الغربيين – كما يذكر الأستاذ - تفطَّنَ إلى ما يوجد في الإسلام من الحقيقة المنتظرة المنقذة للإنسانية من تخبطها ، كالأمير بسمارك ونقل عنه قوله : "لقد درستُ الكتب السماوية بإمعان فلم أجد فيها الحكمة الحقيقية التي تكفل سعادة البشرية وذلك للتحريف الذي حصل فيها ولكني وجدت قرآن محمد صلى الله عليه وسلم يعلو على سائر الكتب وقد وجدت في كل كلمة منه حكمة، وليس هناك كتابُ يحقق سعادة البشرية مثله[11]"

وكانَ هاجسُ الأستاذ أن يدخلَ غيرُ المسلمينَ في الإسلام، لكنْ من خلال ثباتِ هُويتنا لا من خلال المجاملة المفرطة أو المداهنة، وقد قال الأستاذ: "لو أننا أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم أخلاق الإسلام ؛ وكمالَ حقائق الإيمان لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعات وأفواجاً ، بل لربما رضخت دول العالم وقارّاته للإسلام[12]"، وعبَّر الأستاذُ عن ثباتِ هويته الإسلامية الإيمانية من غير مداهنة بقوله: "الأخلاق المفضـــلة - في الأناضول - هي الجسارة، وعزة النفس، والثبات في الدين، وانطباق اللســـان على ما في القلب. بينما الظرافة والرقة وما شابهها من أمور المدنية تعدّ بالنسبة لهم مداهنة وتزلفاً..."فلئن كانت المداهنة والتملق والتزلف وفداء المصلحة العامة في سبيل المصـــلحة الخاصة، تعدّ من مقتضى العقل.. فاشهدوا أني أقدم براءتي من هذا العقل، مفتخراً بالجنون الذي هو أشبه ما يكون بمرتبة من مراتب البراءة .

ومع اعتقادنا بأن أوربة ستلد – كما أخبر الأستاذ – دولة إسلامية، لكنني في الوقت نفسه أرى أن اهتمام الأستاذ بالعالم الإسلامي يأخذ الأولوية من إرادة قلبه، ومن هذه الرؤية أقترح على طلاب النور أن يجعلوا

الاهتمام بالعالم الإسلامي أولوية قد تتقدم في مطالبها على أولوية الاهتمام بالغرب، وإن كنت لا أرى ترك الاهتمام به، فإن عقلاءه بدؤوا يتوجهون بقوة إلى الإسلام.

أخيرا أقول: ما هي إلا كلماتٌ ثلاثة قدمتها من وحي رسائل النور، فإن أصبتُ فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، وأستغفر الله العظيم .